الإبداع أولاً والمهنة لاحقاً

هلال المعمري .. تزدحم في مكتبه أيقونات الجمال والذوق الرفيع، ولوحات فخمة تجعل للخط عبقًا آخر.

يمزج الحرف في ذهنه قبل أن ينقشه على لوح الفن، تتشكل اللوحة بكل تفاصيلها في مخيلته لتنسكب إبداعا وجمالا على ورق مقوى ينفعل حال النقش والطبع ليقدم شكلا يبقى في الذاكرة بعد مُضي الزائر عن لوحته المعلقة على جدران الجمال التي ازدانت بكل شيء.

هلال بن محمد بن راشد المعمري

خاص: التكوين

زرنا هلال بن محمد بن راشد المعمري في مكتبه الذي ازدحمت فيه أيقونات الجمال والذوق الرفيع، وتداخلت فيه ألوان لوحاته، التي أضفت على كل نواحيه معاني الجمال والإبداع.

سألته عن مراحل دراسته لفن الخط العربي فقال: كانت بدايتي مع الخط العربي منذ أيام الدراسة، حين اكتشفت أن خطي يفرق عن أقراني، من حيث الشكل دون العلم بجماليات الخط وقواعده، وبعد الدراسة بدأت الاهتمام بالخط وتعلمه من خلال الكتب الموجودة بمجال الخط العربي.

وبسبب ظروف العمل ومتطلبات الحياة انقطعت فترة ليست بسيطة عن ممارسة هواية الخط العربي إلى أن سنحت لي فرصة أخرى للعودة إلى الكتابة فالتحقت بدورتين معنيتين بالخط العربي، فعدت مرة أخرى للكتابة، ولكن مع بعض التوقف بحكم العمل.

ما هو الخط العربي

عرف الخطاط هلال المعمري الخط العربي والكتابة في كلمات مختصرة فقال: عرفت البشرية الخط كأداة ملموسة لبلوغ الافكار وانتقالها لدى أفراد المجتمع الواحد منذ لحظة ابتكار الرموز، ولكن في تلك المراحل كانت الحروف والكلمات تحقق هدفاً غرضياً مباشرا، ومع مرور الزمن أضفت الشعوب سمة الجمالية فكانت جميع اللغات ومنها العربية قد ابتكرت أنساقاً كتابية تحقق جميع أهداف الكتابة الغرضية والجمالية.

Altakween_2022_59v MZ.indd 27 1/8/23 9:08 AM

إذا اعتبرنا أن الكلمة هي الإطار الذي يشمل الكتابة، مثلما أن الكتابة هي المقدمة لظهور الخط العربي، كيف تفسر ولادة الخط من الكتابة التدوينية في تاريخنا الإسلامي؟

في تاريخنا الإسلامي وخصوصاً بعد أن استقرت الدول الإسلامية الحضارية (الاموية والعباسية) أصبح بمقدور المسلمين تخطي مرحلة تحقيق الهدف الغرضي للكتابة بنسخ القرآن أو المراسلات، إلى مرحلة ارتبطت بما أطلق علية لاحقاً (الفن الإسلامي)، فكانت الخطوط الإسلامية في المراحل الأموية والعباسية والمملوكية والعثمانية والسلجوقية بمثابة علامة بارزة لاستقرار وتحضر المجتمع الإاسلامي من خلال اهتمامة بالجمال.

كيف تفسر تعلق الفنانين المسلمين بفن الخط ؟

ربما تفسر ظاهرة الحدود الدينية سبباً في تركيز المسلمين على الخط العربي في النهوض بالفن الإسلامي، حيث ظهر ابتعاد الفنان المسلم عن رسم ذوات الأرواح من الحيوانات والبشر وغيرها، فتسبب ذلك في صناعة حدود ومناطق إبداعية تلائم توجه الدين الإسلامي، ومن هنا وجد الفنان المسلم الخط العربي والتوريق وغيرها من الفنون ملاذاً لإبداعه.

ما هي الصعوبات التي يعاني منها فنان الخط العربي ؟

في ظل التسارع التكنلوجي الذي نشهده اليوم، أصبح فن الخط العربي في تحدٍ صريح مع هذه الأدوات، فنشوء برامج متخصصة وذات جودة لا يستهان بها، وهي برامج استطاعت توظيف جماليات الخط العربي بكلفة منخفضة وجهود قليلة من الخطاط، إلا أنه في اعتقادي ومن تجربة عملية، لا يمكن تجاوز الرؤية الفنية للخطاط وإبداعه الشخصي، فلا زالت تلك البرامج تتلقى أوامرها من الإنسان.

ألا ترى أن أدوات التعبير والنشر لم تعد تتماشى والإصرار على مفهوم الجمالية التقليدية لفن الخط ؟

لا شك أن هذا الخطاب صحيح، فليس من المعقول أن نرى الخط العربي في أشرطة الأخبار أو الصحف أو غيرها من المنشورات السريعة ذات الطابع الغرضي، لذلك أظن بأن الفنان يجب أن يبقى في منطقة جمالية الفن فيما يخص مجال الخط العربي متمثلاً في اللوحات الفنية وزخارف الجوامع وغيرها.

بماذا تبرر الاهتمام المتزايد بالخط العربي هذه الأيام ؟

أرى أن تسارع الزمن، وانتشار أدوات الاستهلاك السريع في الحياة، أصبح على الإنسان العودة حثيثا إلى الإنتاج اليدوي الإبداعي، فكان الخط العربي اليدوي أحد الخيارات التي يفضلها مجتمعنا العربي والإسلامي للعودة إلى فكرة الاقتناء.

كيف يتم اختيار الموضوع الذي تود كتابته وما هي المواد التي تستخدمها لتنفيذ اللوحة التي تريدها؟

تُعد مرحلة اختيار الموضوع عند الشروع بتنفيذ العمل الفني الخطوة الأولى التي يمر بها العمل الفني ويمكن أن تأتي فكرة الموضوع صدفة ويمكن أن تكون بناء على طلب ما، ولكنها بلا شك هي مرحلة حساسة لدى الخطاط حيث إنه يبدأ بدراسة ذلك النص دراسة متأنية لتقدير نوع الخط الذي يتناسب مع النص ثم بعد ذلك يقوم الخطاط بعمل المسودات الأولية حتى الوصول إلى القالب النهائي وهذا الأمر يتطلب المزيد من الصبر والمثابرة للوصول إلى قالب يرضي ذائقة الخطاط وقد تستغرق هذه الخطوة مدة زمنية ليست بسيطة قد تستمر أسابيع.

بعدها يتم اختيار المواد المناسبة لتنفيذ مشروع العمل الفني من حيث اختيار نوعية الورق المستخدم والقلم وسمكه ونوع الحبر ولونه وبعد الانتهاء من الكتابة يتم اختيار موضع نقاط الحروف ثم موضع التشكيل وبعد ذلك تبدأ مرحلة الترتيش حتى يظهر العمل بأجمل حلة تمناها الخطاط.

Altakween_2022_59v MZ.indd 28 1/8/23 9:08 AM

ما هي أنواع الخطوط ؟ ولماذا يُعد خط الثلث من أصعب الخطوط؟

توجد الكثير من أنواع الخطوط العربية، ولكن أقدم هذه الخطوط الخط الكوفي حيث نجد أن معظم الكتابات القديمة والتي ظهرت في صدر الإسلام كتبت بالخط الكوفي ثم أتت الخطوط الأخرى تباعا بحكم حاجة المرحلة فأتى خط النسخ والرقعة والديواني (ومنه الديواني الجلي) وخط الثلث (ومنه الثلث الجلي) والخط الفارسي (النستعليق) ومنه (خط الشكستة) وهناك خطوط حديثة ظهرت بعد ذلك ومنها خط الإجازة والخط السنبلي وخط الوسام وخط الطغراء وغيرها من الخطوط الأخرى.

ولكن يُعد خط الثلث من أجمل وأصعب الخطوط وذلك بسبب تميز هذا الخط بالعديد من الخصائص حيث إن معظم الخطوط تكون مسطحة أما خط الثلث فهو أقرب إلى (التقوير) أي أنه يميل إلى الاستدارة ويحتاج الخطاط إلى معرفة كبيرة باستخدام قلم الثلث نظرا لاستخدام الكثير من زوايا القلم عند الكتابة. الجدير بالذكر أن ابن مقلة هو من وضع قواعد خط الثلث ثم جاء بعده العديد من أعلام الخط العربي وزادوا عليه وحسنوه ووضعوا له الحُلي والزخارف ومنهم الأستاذ حمد الله الأماسي ومصطفى راقم، كما اشتهر بإجادته من الخطاطين الأتراك الأستاذ عبد الله زهدي والشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي وشفيق وشوقي وسامي والحاج كامل وحامد الآمدي وغيرهم الكثير من الأعلام.

كيف تجد وضعية الخط العربي اليوم في البلاد العربية الإسلامية وما هي المخاطر التي تهدده ؟

كما أسلفتُ سابقاً، هناك خطران أظنهما يهددان الخط العربي: أولهما يتمثل في طبيعة الحياة العصرية التي نعيشها اليوم والتي من خلالها أصبح الإنسان مستهلكا أكثر من كونه متذوقاً. أما الخطر الثاني فهو

يتمثل في التكنلوجيا التي أخذت اليوم مكاناً واسعاً في مجالات الخط العربي أو الفنون البصرية الشبيهة بالخط كالزخارف والتوريق وغيرها.

يستخدم عدد من الفنانين التشكيليين المعاصرين وحدات من الفن الإسلامي أو الخط العربي في أعمالهم الفنية كيف ترى هذا الاستخدام ؟

أرى أن التوليف بين مكونات الفن الإسلامي كالزخارف مثلاً وبين الخط العربي أمر لا بد منه، فهو بجانب كونة أداة جمالية متكاملة تعكس تاريخنا العربي والإسلامي، إلا أن عملية التجميع تحقق هدفاً آخر يتمثل في إيجاد مناطق إبداع خاصة بالفنان الخطاط بعيداً عن منافسة التكنلوجيا والحواسيب. فالجمع بين الزخارف والخط العربي أمر لا يستطيع القيام به الحاسوب بدون رؤية فنية بصرية من الفنان الخطاط.

ماهي قراءتك لواقع ومستقبل الخط العربي خاصة بعد تولي الحاسوب مهمة تنفيذ أجمل أنواع الخطوط؟

إن الحواسيب تقوم أحياناً بأدوار لا يستطيع الفنان الخطاط القيام بها، لا يمكن إنكار ذلك، لكن ليس بوسع الحاسوب القيام بكل شيء بمعزل عن الفكرة الفنية والرؤية الإبداعية البصرية للفنان الخطاط.

هل تجد أن الخط العربي أسهم في الحفاظ على اللغة العربية وقدمها للعالم بصورة أجمل؟

بلا شك، فقد كان الخط العربي وتجريد النباتات أمر فني عكس الرؤية الفنية الإبداعية البصرية في التاريخ الإسلامي، وكانت اللغة العربية (معجزة العرب الكبرى) هي الوعاء الذي حمل معة جماليات الخط العربي التي زينت المصاحف وأقواس الجوامع من شرق العالم الإسلامي والعالم العربي إلى غربهما.

إلى أي مدى تتداخل معطيات المهنة والفن في ممارسة الخط العربي؟

مهنة الخط العربي تتبع فن الخط العربي، وليس العكس، فلا يمكن امتهان الخط العربي دون أن يكون الخطاط فناناً بارعاً في الأصل. ولكن في المقابل فإن الخطاط يجب أن ينتقل من الممارسة الاستمتاعية إلى مرحلة الاحتراف التي تتيح له فتح مورد مهني لحياته، هكذا هو المسار، الإبداع أولاً والمهنة لاحقاً.

لو تحدثنا في مجال الخط والإعلانات، هل أسهم الخط العربي في لفت الانتباه إلى محل معين أو سلعة معينة، وكيف يمكن للخط أن يعي ما يريده الجمهور وذائقتهم المختلفة؟

بدأ كثير من أصحاب المؤسسات التجارية الاستعانة بالخطاطين في تنفيذ لوحاتهم التجارية، وفي بعض سلعهم ذات الطابع الثمين، فاليوم كثير من منتجي الصناعات الحرفية، أو منتجي البضاعة الثمينة يطلبون الخطاط لإخراج هويتهم البصرية التجارية.

Altakween_2022_59v MZ.indd 29 1/8/23 9:08 AM